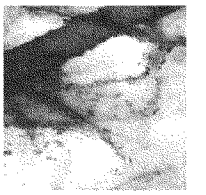

غـــيـــاب

عبد السلام صالح

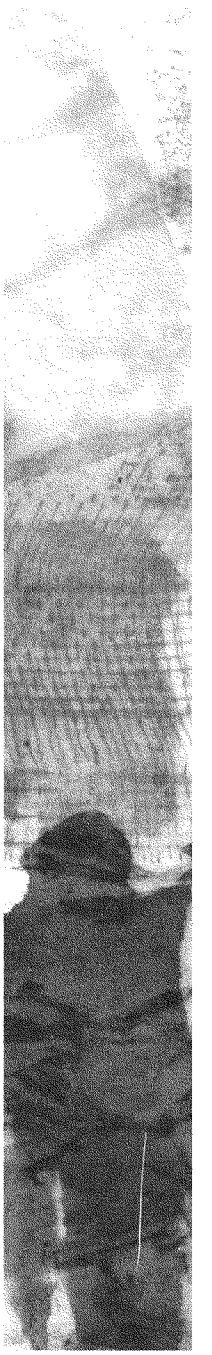

كانت تخبّئ في رياحين الروح كلَّ شقاواتها. شيءٌ في زوايا عينها يماحكُ شقاواتِ طفولاتِ الرغبةِ فينا.

شيئان مُبهمان فيها وفيّ، يظهرانِ ويختبئان؛ فللأشياءِ ضروراتها.

لأشيائي حِرصُها المرضيّ.

ولها، لربكاتها، لكلّ المبهَم فيها، ألقُ المعنى وأنوثتُه.. رقّةُ التفاصيل.. فيضُها مُتعشّقَةً كلَّ ما مرّت به المعاني في دربِ انفلاتات الأشياء منها. كان فيضُ المعاني يتوّجها، يرِفُّ حولها كفراشٍ رحيم، وهي تَربِّتُ على هُدبِ المعاني، على ريشِها.. أو أنّ حَجَلَ المعاني يراودُ عصافيرَ روحها. رُبَّ انلمامٍ تفعلهُ هي للمعاني؛ ربما كانت حاديةُ رَكبِهِم. ورُبَّ أن المعاني تَحدو حولها وهي التي تسير؛ إذ حيثُما حلّت، وكيفما ألقت رياح رغبتها، أتتها الأشياءُ كهرٍّ أليفٍ يتمسّحُ بأقدامِها.

شيئان بي وبها هما فقط ما يُعكّرُ صفاءَ الكون..

بها ولها شيءٌ صغير.. له أن يبقى.. له أن ينمو ويستمرّ.

ربما لم أبغِ من كلّ هذا الكون غير أن أكون المعاني.. آتيها حين تشاءُ رغبتُها.. أتمسّحُ كهرٍّ أليف.

لكِ الرحلةُ.. ولي تعبُ الطريق. لكِ الغبطةُ.. لكِ البهجةُ.. ولي أن أُريق.

لا شيء مثلكِ.. لا شيء غيركِ.. لا شيء فيكِ.. لا شيء فيّ.. ولا أحد.

لا شيء لكِ.. لا شيء لي.. لا شيءَ فيكِ.. لا شيءَ فيّ... ولا أحد.

ها أنا أنذُرُني وأنثُرني لأيّ اقتراب.. وها أنتِ لا تراودُكِ غيرُ المخاوف. تسحبكِ من علياءِ بهائك الغالي، من بهجةِ روحكِ بكِ، من افتِتانِ الجدارةِ ومجدها. تسحبكِ منكِ عُنوةً.. غُنوةً وغناء. تُغَنّيكِ على إيقاعِ مَنْ عبروا.. قليلاً ويصبحُ حدوهم حكايا الجدات.. قليلاً.

تالله أنكِ الأميرةُ، لا أكثر ولا أقلّ.

❖❖❖

أنزلُ من برجِ المعنى العالي نحو اللاشيء.

أنزلُ وحدي، وتبقى المعاني عنقودًا مُعلّقًا حول خصركِ.

أنزلُ حين لا يكون المعنى قد غادر بعدُ بيتَ مفاتنهِ فيكِ.

الوغد، مِثلي عاشقًا، مَرَّ واستقرَ هناك، بين نهديكِ... بينكِ وبينكِ. هناكَ، بعيدًا، فيكِ حيث لا أطال.

خَلَعني صاحبي (المعنى).

يبدو أنه أحبّكِ مثلي،

تحقّقَ مثلي،

ويعيشُ مثلي.. فيكِ فقط.

تركني ذاك الوحيدُ الأغبى منّي، الأعمى منيّ، المعنى منّي.

تركني، وذهبَ إليكِ.

ذهب فيكِ

ذهب معكِ إلى الأبد.

❖ ❖ ❖

أُغلقُ كوني عليّ. أُطفئ ضوئي، واندسُّ تحت الغطاء. أغمض عينيَّ المرهقتين. أقاربُ حدودَ النوم... أُحسّ قدمك.. وحريرٌ يتمرّغ بين قدميّ يتلّوى نَعسًا.

تندسّ رجلُكِ تسعى إلى بيتها بين رجليّ. أُفيق على جسدِكِ يطلب بيتَهُ فيّ. أفتحُ قدميّ وانثني كسلاً. أعدّ لروحكِ بيتَها كي تستريح قليلاً.

ليتّخذ جسدُكِ شكلَ نومه وتكوّره الجنينيّ، يطلب مني أن ألُمَّهُ احتضانًا، فأغمرُه. يصل روحَكِ بعضُ الرضى.

أفيقُ بعدها على غياب جسدك الطويل عني. «طويلٌ هذا الغيابُ وباردٌ.»

في استدارتهِ، في دُوارهِ ودورانه حول حُلم الحَلَمة، في وُرودِ الورديِّ، في عُمقِ اللونِ حولَ الانتشاحِ، الشموص، الهُنيهةِ، الرفعةِ، والألقِ، في البَيِّنِ، في قممِ الروح، حِلّي وحلولي.

في الدائرةِ الصغيرةِ سَعةُ للسفحِ المُطلِّ.. في الشسوعِ.. في الإحاطةِ.. في لذاذةِ الانكماشِ الشفيفِ الراقي، الرقيقِ، الموهنِ، الغادرِ، القادرِ، المُعمي المهيمن المسيطر، الفذّ العبقريّ، الجارحِ القاتلِ الرحيم... كنا ننام أنا وأنتِ.

❖ ❖ ❖

كما دومًا، صحوتُ عليكِ. كنتِ هناك، مقيمةً بين النوم والصحو.. بين اليقظةِ والحلم.. في المساحةِ الخاصّةِ بك بين الوعي واللاوعي. وطوال العامين الأخيرين، أبدأ بكِ الصحوَ، وأُنهي بك النومَ، وما بينهما مطلقُ التباس.. ملْكٌ خاصّ ومطلقٌ لكِ. كأني كلّي لكِ.. كأنكِ أخذتِ كلَّ كلّي. هذا هو التوحّش.

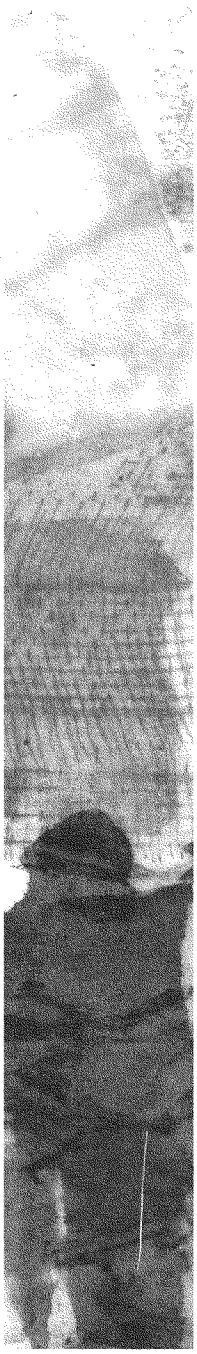

عبد السلام صالح

روائيّ، صدر له: **المحظيّة** (دار أزمنة)، **أرواح بريّة** (دار أزمنة)، **صرّة المرّ** (الفارابي).